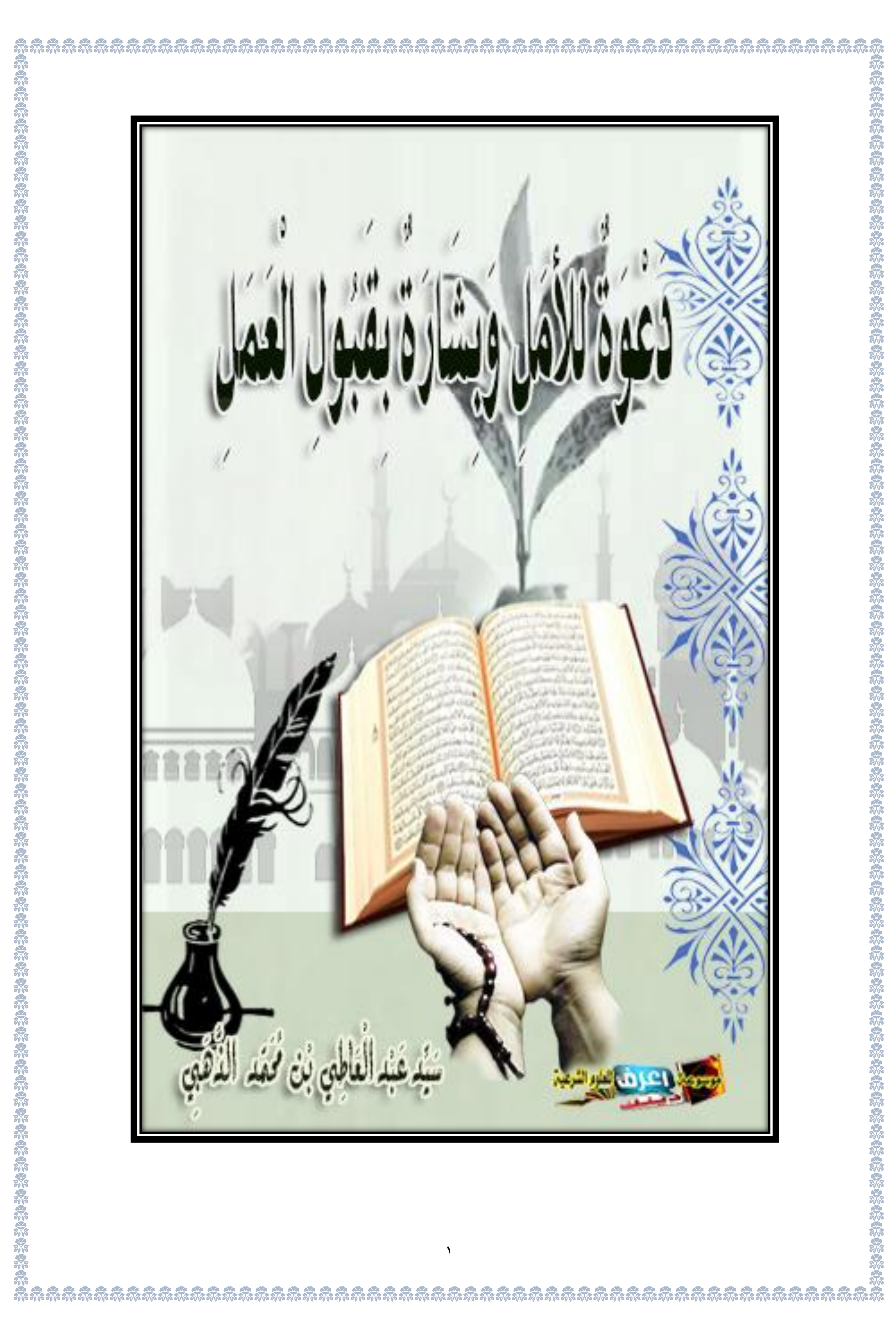

دعوة للأمل وبشارة بقبول العمل
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هَدَانَا للإيمَانِ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَوَفَّقَنَا للطَّاعَاتِ، وَجَعَلَنَا مِنَ الْمُسَارِعِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَمِنْ بَعْدِ الشِّدَّةِ فَرَجًا،وَمِنْ بَعْدِ الْمِحْنَةِ مِنْحَةً،وَمِنْ بَعْدِ الْمَضَرَّةِ مَسَرَّةً، فَقَالَ تَعَالَى:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.(الشَّرْح:٥-٦).

فَنَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ، وَتَوَالِي مِنَنِهِ، وَدَوَامِ بِرِّهِ، وَعَظِيمِ لُطْفِهِ، هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلُ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ آنٍ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ مَحَاسِنِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ وَنِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، حَمْدًا كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَرَّمَ الْيَأْسَ وَنَدَّدَ بِالْقُنُوطِ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}.(يوسف: ٨٧)، وَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:{قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}.(الحجر: ٥٦).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَمَرَنَا بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّبْشِيرِ، فَقَالَ:{يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا}.فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَعِنْدَ انْتِشَارِ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ،وَكَثْرَةِ الْمِحَنِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ،مَا أَحْوَجَنَا إِلَى بَثِّ رُوحِ الْأَمَلِ بَيْنَ النَّاسِ،وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ،فَإِنَّ الْمُحْبَطِينَ لَا يُغَيِّرُونَ،وَالْيَائِسِينَ لَا يَنْتَصِرُونَ،فَالثِّقَةُ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَزْكَى أَمَلٍ،وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ أَوْقَى عَمَلٍ.

•فَقَدْ يُغْلِقُ اللَّهُ تَعَالَى بَابًا لِيَفْتَحَ لَنَا أَبْوَابًا أَفْضَلَ،فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ،وَكَثِيرًا مَا أَقُولُ:بَيْنَ الصَّخْرَةِ وَالصَّخْرَةِ تَنْبُتُ الزَّهْرَةُ،وَبَيْنَ الْمَضَرَّةِ وَالْمَضَرَّةِ تَنْبُتُ الْمَسَرَّةُ،

وَبَيْنَ الْمِحْنَةِ وَالْمِحْنَةِ تَنبُتُ الْمِنْحَةُ،وَبَيْنَ الْعُسْرِ وَالْعُسْرِ يَنْبُتُ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.(الشرْح:٥–٦).

•وَإِنَّ مَا تَمُرُّ بِهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي شَتَّى بِقَاعِ الْأَرْضِ مَعَ مَا يَترَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ قَتْلٍ للأَنْفُسِ، وَإِزْهَاقٍ للأَرْوَاحِ، وَإِخْلَالٍ بِالْأَمْنِ شَيءٍ عَظِيمٌ وَكَبِيرٌ لَكِنَّنَا مَعَ ذَلِكَ نَرَى مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْعَظَائِمِ شُعَاعًا يَبُثُّ فِي النُّفُوسِ رُوحًا مِنَ الْأَمَلِ الصَّادِقِ بِنَصْرِ اللهِ للدِّينِ الْحَقِّ، وَظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. إِنَّهُ أَمَلٌ يَشْحَذُ هِمَمَ الْمُؤمِنِينَ للعَمَلِ عَلَى نُصْرَةِ دِينِهِمْ، وَيَدْعُو الصَّادِقِينَ إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ الْفِتَنُ وَادْلَهَمَّتِ الْخُطُوبُ، وَيَدْفَعُهُمْ للذَّبِّ عَنْ حِيَاضِهِ مَهْمَا عَمِلَ الْأَعْدَاءُ عَلَى حَرْبِهِ وَاسْتَمَاتُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ.

•لَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَهُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ}.(الصَّافَّات:١٧٣)، وَقَالَ تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.(المجادلة:٢١)، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ يَقُومُ الأَشهَادُ}.(غَافر:٥١). وَإِنَّهُ مَهْمَا تَمَالأتْ قُوَى الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ، وَمَهْمَا خَطَّطَ الْأَعْدَاءُ فِي الْخَارِجِ بِمَكْرٍ وَكَيْدٍ وَدَهَاءٍ، وَنَفَّذُوا مُخَطَّطَاتِهِمْ بِاحْتِرَافٍ وَدِقَّةٍ وَتَبَعِيَّةٍ إِلَّا أَنَّ أَمَلَ الْمُؤمِنِينَ بِرَبِّهِمْ وَثِقَتِهِمْ بِنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ مَا زَالَتْ وَلَنْ تَزَالَ قَوِيَّةً مُتَّصِلَةً، يُقَوِّيهَا حِرْصُهُمْ عَلَى مَا يَنْفَعُهُمْ وَاسْتِعَانَتُهُمْ بِاللهِ وَحُسْنُ ظَنِّهِمْ بِهِ.

•هَذَا وَقَدْ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{دَعْوَةٌ للأَمَلِ وَبِشَارَةٌ بِقَبُولِ الْعَمَلِ} لِبَيَانِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي فَتْحِ بَابِ الْأَمَلِ وَالْحَثِّ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ مَعَ الْبِشَارَةِ بِالْقَبُولِ،هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:





•أوَّلًا:الْقُرْآنُ دَعْوَةٌ للأمَلِ وَحَثٌّ عَلَى الْعَمَلِ:

–إنَّ الْمُتَدَبِّرَ لآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أنَّ مَنْهَجَ الْقُرْآنِ يَفْتَحُ بَابَ الْأمَلِ وَيَحُثُّ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِع كَثِيرَةٍ أذْكُرُ مِنْهَا:



(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.(النُّور:٥٥).فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عِدَّةُ فَوَائِدٍ أذْكُرُ مِنْهَا:

(أ)فَتْحُ بَابِ الْأمَلِ أمَامَ أهْلِ الْإيمَانِ وَالْحَثُّ وَالتَّرْغِيبُ عَلَى الْإيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(ب)أنَّ فِيهَا وَعْدًا لِمَن اتَّصَفُوا بِهَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ أنْ يَسْتَخْلِفَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي الْأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ،أيْ يَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ لأهْلِهَا فِي إرْثِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ.

(ج)فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ التَّعْلِيلِ؛ حَيْثُ إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ الشَّوَاهِدَ عَلَى وَعْدِهِ بِالْأمُورِ الْوَاقِعَةِ: {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرَادَ بِهَذَا الْمِثَالِ {كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} تَطْمِينَ هَؤلَاءِ الْمَوْعُودِينَ بِذِكْرِ الْأمْرِ وَاقِعًا فِيمَنْ قَبْلَهُمْ، فَيَكُون فِي ذَلِكَ زِيَادَةُ تَشْجِيعٍ لَهُمْ.

(د)وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} دَلِيلٌ أيْضًا عَلَى أنَّ الْأرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَسْتَخْلِفُ فِيهَا النَّاسَ بَدَل غَيْرِهِمْ، وَلَيْسَ للنَّاسِ فِي هَذِهِ الْأرْضِ مُلْكٌ، الْمُلْكُ فِي الْأرْضِ للهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ قَالَ تَعَالَى:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.(آل عمران:٢٦–٢٧).

(هـ)وَفِيهَا أَيْضًا: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ سَبَبٌ لِتَمْكِينِ الدِّين فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ الْمُخَالَفَةَ سَبَبٌ لِنَزْعِ الدِّين مِنَ الْأَرْضِ؛ لِقَوْلِهِ:{وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}، فَيُفْهَم مِنْهُ أَنَّهُمْ لَوْ فَسَقُوا وَلَمْ يُؤمِنُوا وَلَمْ يَعْمَلُوا صَالِحًا مَا مُكِّنَ لَهُم الدِّينُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ، وَالَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ ، فَفِيهَا تَحْذِيرٌ بَالِغٌ مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْقُصُورِ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِنَزْعِ الدِّين مِنْهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمُضَّطَرِدُ فِي سُنَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،فَإِنَّ النِّعَمَ إِذَا لَمْ تُشْكَرْ زَالَتْ، وَأَكْبَرُ نِعْمَةٍ يُنْعِمُ اللهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ هِيَ نِعْمَةُ الدِّين، فَإِذَا لَمْ تُشْكَرْ فَإِنَّهَا تَزُولُ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ.

(و)وَفِيهَا :دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الدِّين الْإِسْلَامِيِّ، حَيْثُ قَالَ:{الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}، فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، فَهُوَ أَكْمَلُ الْأَدْيَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلِذَلِكَ خُتِمَتْ بِهِ الرِّسَالَاتُ.

(ز)وَفِيهَا:بَيَانٌ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ سَبَبٌ لاسْتِمْرَارِ الْأَمْنِ، وَلِزَوَالِ الْخَوْفِ؛ اسْتِمْرَارُ الْأَمْنِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْنٌ سَابِقٌ فَهُوَ يَسْتَمِرُّ، وَلِزَوَالِ الْخَوْفِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ خَوْفٌ فَإِنَّهُ يَزُولُ؛ لِقَوْلِهِ:{وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}.

(ح)وَفِيهَا : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ الْمُهِمَّةَ يَنْبَغِي تَأْكِيدُهَا بِأَنْوَاعِ الْمُؤَكِّدَاتِ، فَإِنَّ هَذَا الْوَعْدَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا أَكَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْقَسَمِ وَاللَّامِ وَالنُّونِ:{لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ}، {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}. وَأَكَّدَهُ أَيْضًا بِمُؤَكِّدٍ مَعْنَوِيٍّ، لَيْسَ بِأَدَاةٍ لَفْظِيَّةٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ:{كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ تَأْكِيدُ هَذَا الْوَعْدِ بِذِكْرِ شَوَاهِدِهِ، فَيَكُون ذَلِكَ أَيْضًا تَأْكِيدًا مَعْنَوِيًّا عَلَى تَأْكِيدٍ لَفْظِيٍّ، فَالْأَوَّلُ كَانَ مُؤَكَّدًا بِاللَّامِ وَالنُّونِ وَالْقَسَمِ هَذِهِ مُؤَكِّدَاتٌ لَفْظِيَّةٌ، لَكِن {كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} فِيهَا مُؤَكِّدٌ مَعْنَوِيٌّ، بِذِكْرِ مَا يُقَوِّي الْقَلْبَ وَيُثَبِّتُهُ.

(ط)وَفِيهَا : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ عِبَادَةُ اللهِ؛ لِقَوْلِهِ:{يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}، وَعَلَيْهِ يَكُونُ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ مِنْ أَسْبَابِ هَذَا الْوَعْدِ الَّذِي وَعَدَ اللهُ بِهِ.

(ك)وَفِيهَا:التَّهْدِيدُ للكَافِرِينَ؛ لِقَوْلِهِ:{وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، فَإِنَّ هَذَا تَهْدِيدٌ لِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ هَذَا الْوَعْدِ، أَوْ بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ، مَنْ كَفَرَ سَوَاء كَانَ وَقَعَ لَهُ مَا ذُكِرَ مِنَ الاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ وَالْأَمْنِ، أَوْ لَمْ يَقَعْ لَهُ وَلَكِنَّهُ وُعِدَ بِهِ، فَإِنَّ كُفْرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَجْعَلُهُ فَاسِقًا.

(ل)وَفِيهَا : دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ هَذَا الْفِسْقِ الَّذِي يَحْصُلُ بَعْدَ هَذَا الْوَعْدِ، أَوْ بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ، وَوَجْهُ عِظَمِهِ حَصْرُ الْفِسْقِ فِي هَذَا، {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، مَعَ أَنَّهُ يُوجَدُ أنَاسٌ فَاسِقُونَ غَيْرُهُمْ، لَكِنْ لِعِظَمِ فِسْقِهِمْ حُصِرَ الْفِسْقُ فِيهِمْ،{فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.






(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.(الزُّمر:٥٣).مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :

(أ)وُجُوبُ إِبْلَاغِ الرَّسُولِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنِ اللهِ هَذَا الْقَوْلَ،لِقَوْلِهِ:{قُلْ} لأنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ لَاسِيَّمَا وَأَنَّ هَذَا إِبْلَاغٌ للرِّسَالَةِ وَإِبْلَاغُ الرِّسَالَةِ وَاجِبٌ .

(ب)وَمِنْهَا :أَهَمِّيَّةُ هَذَا الْبَلَاغِ فِي أنْ لَّا نَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، لِتَصْدِيرِهِ بـ {قُلْ} لأنَّ هَذَا أَمْرٌ بِإِبْلَاغٍ خاصٍّ وَفِي ذَلِكَ فَتْحٌ لِبَابِ الْأَمَلِ وَدَعْوَةٌ للتَّوْبَةِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ .

(ج)وَمِنْهَا: أنَّ الْمُذْنِبَ مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِهِ ظَالِمٌ لَهَا، لِقَوْلِهِ :{أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} وَيَدُلُّ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}.(هُود:١٠١).

(د)وَمِنْهَا : تَحْرِيمُ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، لِقَوْلِهِ:{لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ}. وَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي النَّهْيِ التَّحْرِيمُ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ الْقُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ،فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ قَالَ:{أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ}.(مُصنّف عبدِ الرَّزَّاق كِتاب الْكَبَائر بِرَقَم(١٩٧٠١)وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ).

وَذَلِكَ لأنَّ الَّذِي يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ظَنَّ مَا لا يَلِيقُ بِاللهِ جَلَّ وَعلَا، فَإِنَّ اللَّائِقَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِين لا يُخَيِّبُهُ، فَإِذَا قَنَطَّ مِنْ رَحْمَتِهِ فَقَدِ اسْتَهَنْتَ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ .

(هـ)وَمِنْهَا : إِثْبَاتُ الرَّحْمَةِ للهِ لِقَوْلِهِ :{ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ }.وَالرَّحْمَةُ نَوْعَانِ: مَخْلُوقَةٌ وَغَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، فَمَا كَانَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَمَا كَانَ صِفَةً للرَّبِّ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ:{أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي}.(صحيح البُخاريّ: ٤٨٥٠من حديث أبي هُرَيرَة–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).،أَنْتِ رَحْمَتِي مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ لكِنَّهَا مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ، إِذَا وُلِدَ لِشَخْصٍ وَلَدٌ أَوْ عَادَ إِلَيْهِ ضَالٌّ أَوْ ضَائِعٌ مِنْ مَالِهِ ، قَالَ: وَاللهِ هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ،فَهَذِهِ الرَّحْمَةُ مَخْلُوقَةٌ

لأَنَّهَا إحْسَانٌ وَإنْعَامٌ، فَإذَا أطْلِقَتِ الرَّحْمَةُ عَلَى الْإحْسَانِ وَالْإنْعَامِ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَإذَا أطْلِقَتْ عَلَى صِفَةِ اللهِ فَهِيَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ .

(و)وَمِنْهَا : أنَّ الذُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ فَإنَّ اللهَ يَغْفِرُهَا لِقَوْلِهِ:{إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}. كُلّ الذُّنُوبِ ؟ نَعَم، لأنَّ اللهَ ذَكَرَهَا بـ ألْ {الذُّنُوبَ}، وَأكّدَ هَذَا الْعُمُومَ بِقَوْلِهِ : {جَمِيعًا} كُلّ الذُّنُوبِ، لَكِنْ هَذَا فِي حَقِّ التَّائِبِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا:{وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ }.(الزّمَر:٥٤)

(ز)وَمِنْهَا: إثْبَاتُ اسْمَيْنِ مِنْ أسْمَاءِ اللهِ عَظِيمَيْنِ يَقْتَرِنَانِ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ هُمَا {الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، وَوَجْهُ اقْتِرَانِهِمَا أنَّ فِي الْأوَّلِ زَوَالَ الْمَكْرُوهِ وَفِي الثَّانِي حُصُولَ الْمَطْلُوبِ، فَيَتَكَوَّن مِنَ اجْتِمَاعِهِمَا وَصْفٌ زَائِدٌ عَلَى الْوَصْفِ عِنْدَ انْفِرَادِهِمَا، لأنَّهُ إذَا انْفَرَدَا اسْتَفَدْنَا الْمَغْفِرَةَ إنِ انْفَرَدَ الْغَفُورُ، أوِ الرَّحْمَةَ إذَا انْفَرَدَ الرَّحِيمُ، لَكِنْ إذَا اجْتَمَعَا اسْتَفَدْنَا فَائِدَةً جَدِيدَةً، وَهِيَ أنَّ مَغْفِرَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلّ مَقْرُونَةٌ بِرَحْمَتِهِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، هَذَانِ الاسْمَانِ مِنَ الْأسْمَاءِ الْمُتَعَدِّيَةِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : لَا يَتِمُّ الْإيمَانُ بِالْأسْمَاءِ الْمُتَعَدِّيَةِ إلَّا بِثَلَاثَةِ أمُورٍ، الْإيمَانُ بِالاسْمِ، وَالْإيمَانُ بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَالْإيمَانُ بِالْحُكْمِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، الَّذِي يُطْلِقُ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ الْأثَرَ، الْإيمَانُ بِالاسْمِ هُنَا الْغَفُور، نُؤمِنُ بِأنَّ الْغَفُورَ مِنْ أسْمَاءِ اللهِ، نُؤمِنُ بِأنَّ للهِ مَغْفِرَةً دَلَّ عَلَيْهَا اسْمُ الْغَفُورِ، وَنُؤمِنُ أيْضًا بِمَا يَتَضَمَّنُهُ ذَلِكَ، يَدُلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَيَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ، لأنَّهُ لَا يَغْفِرُ مَا لَا يَعْلَمُهُ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْعِلْمِ مِنْ بَابِ دَلَالَةِ الالْتِزَامِ، لأنَّ الْمَادَّةَ (غ ف ر) مَا فِيهَا (ع ل م) فَيَكُون هَذَا مِنْ بَابِ الالْتِزَامِ، فَالْغَفُورُ اسْمٌ للهِ تَعَالَى وَالْمَغْفِرَةُ وَصْفٌ للهِ تَعَالَى وَالْحُكْمُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ، وَالرَّحِيمُ كَذَلِكَ نُؤمِنُ بِالرَّحِيمِ اسْمًا وَبِالرَّحْمَةِ صِفَةً وَبِأنَّهُ يَرْحَمُ حُكْمًا .



(٣)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.(البقرة:٢١٦).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ الْمَوْسُومِ ب(الْفَوَائِدِ)ص:١٣٦وَمَا بَعْدَهَا:{فِي هَذِه الْآيَةِ عِدَّةُ حِكَمٍ وَأسْرَارٍ وَمَصَالِح للْعَبْدِ فَإنَّ الْعَبْدَ إذَا عَلِمَ أنَّ الْمَكْرُوهَ قَدْ يَأْتِي بِالْمَحْبُوبِ وَالْمَحْبُوبَ قَدْ يَأْتِي بِالْمَكْرُوهِ لَمْ يَأْمَنْ أنْ تُوَافِيهِ الْمَضَرَّةُ مِنْ جَانِبِ الْمَسَرَّةِ وَلَمْ يَيْأسْ أنْ تَأتِيَهُ الْمَسَرَّةُ مِنْ جَانِبِ الْمَضَرَّةِ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِالْعَوَاقِبِ فَإنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنْهَا مَالَا يُعْلَمُهُ الْعَبْدُ وَأوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ أمُورًا مِنْهَا:

(أ) امْتِثَالُ الْأمْرِ:

أَنَّهُ لَا أَنْفَعَ لَهُ مِنَ امْتِثَالِ الْأَمْرِ وَإِنْ شَقّ عَلَيْهِ فِي الِابْتِدَاءِ لِأَنَّ عَوَاقِبَهُ كُلَّهَا خَيْرَاتٌ وَمَسَرَّاتٌ وَلَذَّاتٌ وَأفْرَاحٌ وَإِنْ كَرِهَتْهُ نَفْسُهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهَا وَأَنْفعُ وَكَذَلِكَ لَا شَيْء أضرّ عَلَيْهِ مِنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَإِنْ هَوِيَتْهُ نَفْسُهُ وَمَالَتْ إِلَيْهِ وَإِنَّ عَوَاقِبَهُ كُلَّهَا آلَامٌ وَأَحْزَانٌ وَشُرُورٌ وَمَصَائِبٌ وَخاصَّيَّةُ الْعَقْل تحَمُّلُ الْأَلَمَ الْيَسِيرَ لِمَا يَعْقُبُهُ مِنَ اللَّذَّةِ الْعَظِيمَةِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَاجْتنابُ اللَّذَّة الْيَسِيرَة لِمَا يَعْقُبُهَا مِنَ الْأَلَمِ الْعَظِيمِ وَالشَّرِّ الطَّوِيلِ فَنَظَرُ الْجَاهِلِ لَا يُجَاوِزُ الْمَبَادِيءَ إِلَى غَايَاتِهَا وَالْعَاقِلُ الْكَيِّسُ دَائِمًا يَنْظُرُ إِلَى الْغَايَاتِ مِنْ وَرَاءِ سُتُورِ مَبَادِئِهَا فَيَرَى مَا وَرَاءَ تِلْكَ السُّتُورِ مِنَ الْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ وَالْمَذْمُومَةِ فَيَرَى الْمَنَاهِي كَطَعَامٍ لَذِيذٍ قَدْ خُلِطَ فِيهِ سُمٌّ قَاتِلٌ فَكُلَّمَا دَعَتْهُ لَذَّتُهُ إِلَى تنَاوُلِهِ نَهَاهُ مَا فِيهِ مِنَ السُّمِّ وَيَرَى الْأَوَامِرَ كَدَوَاءٍ كَرِيهِ الْمَذَاقِ مُفْضٍ إِلَى الْعَافِيَةِ وَالشِّفَاءِ وَكُلَّمَا نَهَاهُ كَرَاهَةُ مَذاقِهِ عَنْ تناوُلِهِ أَمَرَهُ نَفْعُهُ بِالتَّنَاوُلِ،وَلَكِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ عِلْمٍ تُدْرَكُ بِهِ الْغَايَاتُ مِنْ مَبَادِئهَا وَقُوَّةِ صَبْرٍ يُوَطِّنُ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ الطَّرِيقِ لِمَا يُؤَمِّلُ عِنْدَ الْغَايَةِ فَإِذَا فَقَدَ الْيَقِينَ وَالصَّبْرَ تعَذّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِذَا قَوِيَ يَقِينُهُ وَصَبْرُهُ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ مَشَقَّةٍ يَتحَمَّلُهَا فِي طَلَبِ الْخَيْرِ الدَّائِمِ وَاللَّذَّةِ الدَّائِمَةِ.

–وَمِنْ أَسْرَارِ هَذِه الْآيَةِ:

(ب)التَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

أَنَّهَا تَقْتَضِي مِنَ الْعَبْدِ التَّفْوِيضَ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ وَالرِّضَا بِمَا يَخْتَارُهُ لَهُ وَيَقْضِيه لَهُ لِمَا يَرْجُو فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَقْتَرِحُ عَلَى رَبِّهِ وَلَا يَخْتَارُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُهُ مَا لَيسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَلَعَلَّ مَضرَّتَهُ وَهَلَاكَهُ فِيهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَلَا يَخْتَارُ عَلَى رَبِّهِ شَيْئًا بَلْ يَسْأَلُهُ حُسْنَ الِاخْتِيَار لَهُ وَأَنْ يُرَضِّيه بِمَا يَخْتَارُهُ فَلَا أَنْفع لَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا فَوَّضَ إِلَى رَبِّهِ وَرَضِي بِمَا يَخْتَارُهُ لَهُ أَمَدَّهُ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَهُ بِالْقُوَّةِ عَلَيْهِ وَالْعَزِيمَةِ وَالصَّبْرِ وَصَرَفَ عَنْهُ الْآفَاتِ الَّتِي هِيَ عُرْضَةُ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ لنَفسِهِ وَأَرَاهُ مِنْ حُسْنِ عَوَاقِبِ اخْتِيَارِهِ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَصِلَ إِلَى بَعْضِهِ بِمَا يَخْتَارُهُ هُوَ لِنَفْسِهِ.

–وَمِنْهَا:

(ج)تَفْرِيغُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ:

أَنَّهُ يُرِيحُهُ مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُتْعِبَةِ فِي أَنْوَاعِ الاخْتِيَارَاتِ وَيُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنَ التَّقْدِيرَاتِ وَالتَّدْبِيرَاتِ الَّتِي يَصْعَدُ مِنْهَا فِي عَقَبَةٍ وَيَنْزِلُ فِي أُخْرَى وَمَعَ هَذَا فَلَا خُرُوج لَهُ عَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِ فَلَوْ رَضِيَ بِاخْتِيَارِ اللهِ أَصَابَهُ الْقَدَرُ وَهُوَ مَحْمُودٌ مَشْكُورٌ مَلْطُوفٌ بِهِ فِيهِ وَإِلَّا جَرَى عَلَيْهِ الْقَدَرُ وَهُوَ مَذْمُومٌ غَيْرُ مَلْطُوفٍ بِهِ فِيهِ لِأَنَّهُ مَعَ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ وَمَتَى صَحَّ تَفْوِيضُهُ وَرِضَاهُ اكْتَنَفَهُ فِي الْمَقْدُورِ الْعَطْفُ عَلَيْهِ وَاللُّطْفُ بِهِ فَيَصِير بَيْنَ عَطْفِهِ وَلُطْفِهِ فَعَطْفُهُ يَقِيهِ مَا يَحْذَرُهُ وَلُطْفُهُ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ مَا قَدَّرَهُ إِذَا نَفَذَ الْقَدَرُ فِي الْعَبْدِ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُفُوذِهِ تَحَيُّلُهُ فِي رَدِّهِ فَلَا أَنْفع لَهُ مِنَ الاسْتِسْلَامِ وَإِلْقَاءِ نَفْسِهِ بَيْنَ يَدَي الْقَدَرِ طَرِيحًا كَالْمَيْتَةِ فَإِنَّ السَّبُعَ لَا يَرْضَى بِأَكْلِ الْجِيَف.}.انْتَهَى كَلَامَهُ.

(د)وَمِنْهَا:فَرْضِيَّةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ}أيْ:فُرِضَ عَلَيْكُمْ.

(هـ)وَمِنْهَا:أَنَّهُ لَا حَرَج عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا كَرِهَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ؛ لَا كَرَاهَتُهُ مِنْ حَيْثُ أَمْر الشَّارِعِ بِهِ،وَلَكِنْ كَرَاهَتهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبيعَة؛ أَمَّا مِنْ حَيْثُ أَمْر الشَّارِعِ بِهِ فَالْوَاجِبُ الرِّضَا، وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ بِهِ.

(و)وَمِنْهَا:أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ }.

(ز)وَمِنْهَا:أَنَّ اللهَ قَدْ يَحْكُمُ حُكْمًا شَرْعِيًّا، أَوْ كَوْنِيًّا عَلَى الْعَبْدِ بِمَا يَكْرَهُ وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ،وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– بِرَقْمِ(١٢٠٦١)بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–:أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لِرَجُلٍ:{أَسْلِمْ، قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي كَارِهًا، قَالَ: وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا}.،

وَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ خَرَجَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَجْلِ أَخْذِ الْعِيرِ الَّتِي تَحْمِلُ بَضَائِعَ قُرَيْشٍ، فَصَرَفَهُمُ اللهُ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ؛ قَالَ تَعَالَى: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}.(الأنفال: ٥).، فَكَانَ اخْتِيَارُ اللهِ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ اخْتِيَارِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى:{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ(٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}.(الأنفال:٧–٨)..

(ح)وَمِنْهَا:كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُحِبُّ مَا هُوَ شَرٌّ لَهُ وَيَكْرَهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَبَيَّنَ سَبَبَ ذَلِكَ وَالدَّلِيلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

(ط)وَمِنْهَا:أَنَّ الْآيَةَ دَعْوَةٌ لِبَعْثِ رُوحِ الْأَمَلِ وَالْحَثُّ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى فَسَعَادَةُ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ عَسَى وَعَسَى أَيْ:{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ }.



(٤)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا}.(الشَّرح:٥–٦).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي تَفْسِيرِهِ:{بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ أَنَّهُ كُلَّمَا وُجِدَ عُسْرٌ وَصُعُوبَةٌ، فَإِنَّ الْيُسْرَ يُقَارِنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، حَتَّى لَوْ دَخَلَ الْعُسْرُ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْيُسْرُ فَأَخْرَجَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{وَإِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.وَتَعْرِيفُ (الْعُسْر) فِي الْآيَتَيْنِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ، وَتَنْكِيرُ (الْيُسْر) يَدُلُّ عَلَى تِكْرَارِهِ، فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ.وَفِي تَعْرِيفِهِ

بِالْألِفِ وَاللَّامِ، الدَّالَّةِ عَلَى الاسْتِغْرَاقِ وَالْعُمُومِ يَدُلُّ عَلَى أنَّ كُلَّ عُسْرٍ، وَإنْ بَلَغَ مِنَ الصُّعُوبَةِ مَا بَلَغَ، فَإنَّهُ فِي آخِرِهِ التَّيْسِير مُلَازِمٌ لَهُ}.

–وَفِي الْآيَتَيْنِ فَتْحُ بَابِ الْأمَلِ أمَامَ أهْلِ الْإيمَانِ وَحَثُّهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُنَالُ إلَّا بِطَاعَتِهِ.

–وَالْآيَاتُ الدَّاعِيَةُ للأمَلِ كَثِيرَةٌ أكْتَفِي بِمَا ذَكَرْتُ لأنْتَقِلَ إلَى السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَدَعْوَتِهَا إلَى بَعْثِ الْأمَلِ فِي النُّفُوسِ وَحَثِّهَا عَلَى الْعَمَلِ .





•ثَانِيًا:السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ دَعْوَةٌ للأمَلِ:

–لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَبْعَثُ رُوحَ الْأمَلِ فِي نُفُوسِ أصْحَابِهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–.

(١)فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦٩٤٣)مِنْ حَدِيثِ خَبَّاب بْنِ الْأرَتّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ: شَكَوْنا إلَى رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنا: ألَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ألَا تَدْعُو لَنا؟ فَقَالَ: {قدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِه، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ}.

–وَفِي الْحَدِيثِ: عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ، حَيْثُ وَقَعَ مَا أخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، وَانْتِشَارِ الْأمْنِ، وَإنْجازِ اللهِ مَا وَعَدَ نَبِيَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنْ ذَلِكَ.

–وَفِيهِ:فَتْحُ بَابِ الْأمَلِ وَالْبِشَارَةُ بِانْتِصَارِ الْإسْلَامِ وَأهْلِهِ،وَالْحَثُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالتَّثْبِيتِ وَعَدَمِ الْعَجَلَةِ.

(٢) وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–أيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤١٠١)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:إنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ:{أنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأخَذَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ– الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أهْيَلَ –أوْ أهْيَمَ– فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إلَى الْبَيْتِ، فَقُلتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–شَيْئًا، مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بيْنَ الأثَافِيِّ قدْ كَادَتْ أنْ تَنْضَجَ، فَقُلتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أنْتَ يَا رَسولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أوْ رَجُلَانِ، قَالَ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ، فَقَالَ: قُومُوا. فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ! جاءَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا. فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إذَا أخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إلَى أصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ}.

–وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ النّسَائيّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِرَقَمِ(٨٨٥٨)بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ الْبَرَاء بْنِ عَازِب–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ: لَمَا كَانَ حِينَ أمَرَنَا رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ لَا نَأخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلَ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَجَاءَ فَأخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ :{بِسْمِ اللهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ :اللهُ أكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إنِّي لَأُبْصِرُ قصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ الثُّلُثَ الْآخَرَ فَقَالَ : اللهُ أكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسٍ، وَاللهِ إنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ أبْيَضَ،ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ : بِسْمِ اللهِ، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ : اللهُ أكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إنِّي لَأُبْصِرُ أبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السَّاعَةَ}.

–وَفِي رِوَايَةٍ فِي صَحِيحِ النَّسَائيّ بِرَقَمِ(٣١٧٦): لَمَّا أمرَ النَّبِيُّ بحَفْرِ الْخَنْدَقِ ، عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأخَذَ الْمِعْوَلَ ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ ، وَقَالَ :{تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ بَرْقَةٌ ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ ، وَقَالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ ، وَقَالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَنَدَرَ الثُّلْثُ الْبَاقِي ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَأخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ ، قَالَ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ ، مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : يَا سَلْمَانُ ، رَأيْتَ ذَلِكَ فَقَالَ : أي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كِثِيرَةٌ ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنيَّ قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أنْ

يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيَغنِّمَنَا دِيَارَهُمْ ، وَيُخَرِّبَ بِأيْدِينَا بلادَهُمْ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْ عُ اللَّهَ أنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغنِّمَنَا دِيَارَهُمْ ، وَيُخرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلادَهُمْ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ ، فرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : عِنْدَ ذَلِكَ دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ}.

•فكَانَ مِنْ هَدْيِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَتْحُ بَابِ الْأمَلِ أمَامَ أصْحَابِهِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ–عِنْدَ الضِّيقِ وَالشِّدَّةِ،

وَيُبَشِّرُهُمْ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ،وَيَدْفَعُهُمْ للعَمَلِ.

•فَالْإِسْلَامُ مَحْفُوظٌ وَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ وَهَذَا مَا أخْبَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ،وَأخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ الْأمِينُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي سُنَّتِهِ.

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}. (الحجر:٩).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ } أيْ: الْقُرْآن الَّذِي فِيهِ ذِكْرَى لِكُلِّ شَيءٍ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ، وَفِيهِ يَتَذَكَّرُ مَنْ أرَادَ التَّذَكُّرَ، {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } أيْ: فِي حَالِ إنْزَالِهِ وَبَعْدَ إنْزَالِهِ، فَفِي حَالِ إنْزَالِهِ حَافِظُونَ لَهُ مِنَ اسْتِرَاقِ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَبَعْدَ إنْزَالِهِ أوْدَعَهُ اللهُ فِي قَلْبِ رَسُولِهِ، وَاسْتَوْدَعَهُ فِيهِ ثُمَّ فِي قُلُوبِ أمَّتِهِ، وَحَفِظَ اللهُ ألْفَاظَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ فِيهَا وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، وَمَعَانِيهِ مِنَ التَّبْدِيلِ، فَلَا يَحَرِّفُ مُحَرِّفٌ مَعْنًى مِنْ مَعَانِيهِ إلَّا وَقَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ الْمُبِينَ، وَهَذَا مِنْ أعْظَمِ آيَاتِ اللهِ وَنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤمِنِين، وَمِنْ حِفْظِهِ أنَّ اللهَ يَحْفَظُ أهْلَهُ مِنْ أعْدَائِهِمْ، وَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا يَجْتَاحُهُمْ}.

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.(التَّوبة:٣٢–٣٣).

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.(الصَّف:٨–٩)

–سَألَ الطُّلَّابُ شَيْخَهُمُ الْمُفَسِّرَ(مُحَمَّد الطَّاهِر بْن عَاشُور–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–):مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.(التَّوبة:٣٢–٣٣).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى :{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.(الصَّف:٨-٩)

-فَقَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :{الْفَرْقُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ هُوَ كَالْآتِي : أَنَّ آيَةَ التَّوْبَةِ فِي الْكُفَّارِ، وَآيَةَ الصَّفِّ فِي الْمُنَافِقِينَ.

-فَالْكُفَّارُ يُحَارِبُونَ الْإِسْلَامَ صَرَاحَةً : {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} . {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}..الآيَة

-وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَحَرْبُهُمْ غَيْرُ مُبَاشِرَةٍ فَهُمْ يَعْمَلُونَ مَشَارِيعَ وَخُطَطَ وَأَسَالِيبِ {لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ}.{وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ} ..الْآيَة.

-فَلَمَّا كَانَتْ إِرَادَةُ الْكُفَّارِ صَرِيحَةً قُوبِلُوا بِإِرَادَةٍ صَرِيحَةٍ {وَيَأْبَى اللهُ}.

-وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَلَمَّا كَانَ قَصْدُهُمْ بِمَشَارِيعِهِمْ وَخُطَطِهِمْ إِنْقَاصَ الدِّينِ قُوبِلُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ {وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ}.

-وَفِي هَذَا بِشَارَةٌ لأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالانْتِصَارِ الدَّائِمِ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ سَوَاء كَانُوا ظَاهِرِينَ أَوْ مُنْدَسِّينَ،فَأَبْشِرُوا فَإِنَّ دِينَ اللهِ مَتِينٌ،وَأَنَّ الْحَقَّ سَيَنْتَصِر ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيُمْلِي للظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ .

(٣)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٩٢٠)مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ}. وَفِي رِوَايَةٍ: {وَهُمْ كَذَلِكَ}.

(٤)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧١)مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَان-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ}.

-وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الْعِلمِ، وَفضْلُ تَعَلُّمِهِ، وَأَنَّ الْعِلمَ الشَّرْعِيَّ أَشْرَفُ الْعُلُومِ إِطْلَاقًا؛ لِعَلاقتِهِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.وَفِيهِ: أَنَّ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ مِنْ عَلَامَاتِ خَيْرِيَّةِ الْمُسْلِمِ. وَفِيهِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَذِلُّ وَإِنْ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ.وَفِيهِ:عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَيَتَظَلُّ الْحُجَّةُ قَائِمَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ عَلَى يَدِ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ

وَفِي هَذَا بِشَارَة لأَهْلِ الْإِسْلَامِ،وَفَتْح بَابِ الْأَمَلِ وَالْحَثّ عَلَى الْعَمَلِ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ.

(٥)وَأخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥٩٦٧)مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:بَيْنَا أنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ:{يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ}.

-وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِرَقْمِ(٣٢)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أنَّ نَبِيَّ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ،قَالَ:{يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، فَأخْبَرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا}.

-هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ الْبِشَارَةُ بِقَبُولِ الْعَمَلِ لِمَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ وَالْإِيمَانَ الصَّادِقَ الْمُثْمِر للعَمَلِ الصَّالِح فَنَهْيُ النَّبِيّ عَنِ الْإِخْبَارِ مَخَافَة أنْ لَا يَفْهَمَ النَّاسُ أحَادِيثَ الرَّجَاءِ الْفَهْمَ الصَّحِيح فَيَدْعُوهُم ذَلِكَ إِلَى التَّوَاكُلِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ فَلَمَّا زَادَ الْإِيمَانُ وَزَالَ الْمَانِعُ مِنَ التَّحْدِيثِ حَدَّثَ بِهِ مُعَاذ قَبْلَ مَوْتِهِ تَنْفِيذًا لأمْرِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ فِي أحَادِيث كَثِيرَةٍ مِنْهَا:{بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة}،فَمَا أحْوَجَنَا إِلَى بَعْثِ رُوحِ الْأَمَلِ فِي النُّفُوسِ ،وَالْحَثِّ عَلَى الْعَمَلِ،خَاصَّةً عِنْدَ الْمِحَنِ وَتَكَالُبِ الْأعْدَاءِ عَلَى أمَّةِ الْإِسْلَامِ.

•فَاللَّهُمَّ انْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأعِزِّ الْمُسْلِمِين،وَفَرِّج كَرْبَ أهْلِنَا فِي فِلَسْطِين،وَطَهِّرِ الْمَسْجِدَ الْأقْصَى وَأرْضَ الْحَرَمَيْنِ مِنَ الْمُفْسِدِينَ،وَآتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،اللَّهُمَّ ألْهِمْنَا رُشْدَنَا،وَقِنَا شَرَّ نُفُوسِنَا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

